﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾:

٩ - ثم وما هي الهدى التي وعُدها هذه الخليفة؟

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ .. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1] .

هذه الهدى الآتية لخليفة الأرض إلى الأرض لا ريب هي فوق هدى العقل سواء - كانت هدىً تهدي العقل في أخطائه أو تهديه في تكامله، أم تحمل أحكاماً ليس للعقل فيها حكم لا جملة ولا تفصيلاً، وهذا المثلث من الهدى تجمع الشرائع كلها، فهي المقصودة للمكلفين منذ آدم إلى يوم الدين، إلّا أن آدم ومن دونه إلى نوح لم يبعثوا بشريعة أو شرائع من القسم الثالث إطلاقاً فإنها لأولي العزم من الرسل حيث العزم لهم يعني فيما يعني استقلال الشريعة الناسخة لما قبلها إن كانت، والحاكمة على من بعدها إلى ولي عزم آخر، وليست إلّا لأولي العزم من الرسل الخمسة الذين دارت عليهم الرّحى[2] .

وقد توحي ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[3] - توحي أن الناس ظلوا في فترة من الزمن ضلّالاً عن هكذا شرعة إلهية تحمل كتاب وحي

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤.
(٢) راجع ج ٢٦ ص ٧٣ - ٧٨ في آية «أولو العزم».
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

برسالة، فليكن آدم رسولاً بلا كتاب بشرعة غيرها، كالتي تهدي العقل فقط عن أخطائه، أمّا التي لها فروع لا تحكمها العقل لا جملة وتفصيلاً فلا، وعلّها ليست بالتي تكمّلها أيضاً، وإنما الزاوية الأولى من مثلث الوحي الرسالة، وهي أدنى درجات الرسالة.

ولا شك أن أوّل ما أتت من هدي لخليفة الأرض كانت بواسطة آدم صفي الله الذي اصطفاه واجتباه بعد ما عصى وتاب عليه وهدى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[١] ولحدّ الآن ما بعث رسولاً، وإنما نبي اهتدى ثم ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾[٢] فابتعث بهذه الهدى[٣].

ومن ثم ضابطة عامة لمن ضل أو اهتدى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٤] - ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: عائشاً في مربع النور والسرور: لا يضل - ولا يشقى: حتى في الحياة الدنيا، أن تصبح حياته حياة الجنة، فلا يحزن على ما فاته منها ولا يخاف أن يشقى ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[٥]!

وأما ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾[٦]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٧] - ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٨] في الأولى وفي

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١ - ١٢٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٣) الدر المنثور ١: ٥١ عن أبي ذر قلت يا رسول الله ﷺ: من أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: نبي كان؟ قال: نعم مكلّم، قلت ثم من؟ قال: نوح وبينهما عشرة آباء.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٥) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٦) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٣٩.
(٨) سورة طه، الآية: ١٢٤.

الأخرى ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[١] إذاً فهو يشقى في الحياة كلها.

فليست توبة آدم بالتي تزيل عنه شقاء الحياة وضلالها وخوفها وحزنها بل وعليه أن يتبع هدى الله في حياته الدنيا حتى لا يخاف ولا يحزن ولا يضل ولا يشقى.

فقد تخطّى هذه الخليفة المعصية إلى التوبة وإلى الهدى، فعصيانه أهبطه إلى الأرض الشقاء والعناء، وتوبته أصلحته لحياة راضية خالية عن مربع العناء، وهُداه أدخلته إلى جنة الحياة وهو في الدنيا، فتألّفت حياته الأرضية بحياة سماوية علينية إذا تعلق بوحي السماء، وهي أرضية سجينية إذا تحلل عن وحي السماء: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

ومن ثم ينتقل المهتدون إلى حياة سماوية خالصة أسمى من الأولى وأنمى، والضالون إلى حياة أرضية أتعس وأنكى!

رجعة ثانية إلى مثلث الآيات في القصة باستدراكات ونكات:

١ - نتأكد من ترداد الأكل من الشجرة في آياتها أنها ليست شجرة العلم أو الحسد أو المحبة أو المعرفة وأمثالها، من التي لا تؤكل وإنما تتلقى معرفة وعلماً، مهما حملت هذه الشجرة روح الشقاء والضلال.

٢ - إخراجهما من الجنة قد ينسب إلى الشيطان كما هنا ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ وفي الأعراف ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[٢] وفي طه ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[٣].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٧.

ثم ينسب الإهباط والأمر بالهبوط إلى الله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ كما هنا ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾[١] في الأعراف و﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾[٢] في طه.

والجمع أن سبب الخروج والهبوط هو إبليس بما أزلهما دون أن يهبطهما هو بنفسه، ثم الله أهبطهما جزاء بما كسبا أن استزلا بما أزلهما.

٣ - هنا أمران جماعيان بالهبوط يتوسطهما تلقي كلمات التوبة، أترى أن آدم عصى الأمر الأوّل حتى تاب، ثم أمر ثانياً بالهبوط؟ فكان عليه - إذاً - أن يتوب عن عصيانه الثاني إن خالف الأمر الأوّل؟

هناك عصيان ثم بداية التوبة في الأعراف قبل الأمر بالهبوط: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا... قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا... قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾[٣] ثم هنا تلقٍّ لكلمات التوبة بين الأمرين بالهبوط: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ.. فتلقى.. ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ مما يدل أن الكلمات المتلقاة هي نهاية التوبة لا بدايتها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾.

فقد اشتغل آدم منذ الخطيئة في الجنة بالتوبة قبل الأمر الأوّل وبعده حتى تاب الله عليه، وعلّ الأول ما كان فورياً دون مهلة وكما في طه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا... ﴿١٢٣﴾﴾[٤] مما يوحي أن أمرهما الخاص بالهبوط بعد ما أمر إبليس حين أزلهما، وبعد ما تاب عليه ربه وهدى، وكمال التوبة كان بتلقي الكلمات بعد الأمر الأوّل الجماعي بالهبوط هنا، وكأنه يقول أنتما بعد قليل وتحقيق التوبة هابطان مع الشيطان، إذاً فلا عصيان ثانياً لآدم وزوجه، وإنما إبليس هو الذي عصى ربه لحد الآن مرتين - مرة إذا استكبر عن السجود

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.
(٤) سورة طه، الآيات: ١٢١ - ١٢٣.

لآدم ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[١] وأخرى إذا أمر مع آدم وزوجه إذ أزلهما، إذ كان أمره غير أمرهما، حيث هما كانت لهما مهلة تحقيق التوبة دونه، أو أن التأكيد لأجل التكرار حيث ظنا أن توبتهما نسخت الأمر بالهبوط فأعاده الله تدليلاً على أن الهبوط لزام العصيان ولو بعد التوبة، ولأنه خلق خليفة في الأرض لا في السماء!.

ومهما يكن من شيء فالأمر الأخير بجماعية الهبوط يحمل تحقيقه تكويناً بجانب ما يحمل إيجابه تشريعاً، مهما كان آدم وزوجه مطيعان والشيطان عاصياً!.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من الجنة بما يشقى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[٢].

وقد خرجا من بعض ما فيه ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ وهما بعد فيها، حيث نزع عنهما لباسهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[٣] ولكن لم يسمح لهما، حيث ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ دون «خصفا» كما وأن الخروج مما فيها يقتضيه، إذ لا يخص بالخروج عنها، وإنما ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ومنه لباس الجنة ورقاً وسواه، فقد بقيا عريانين حتى أهبطا، وقد تابا عريانين منكسرين، وإنه أحرى بحالة التوبة وأجدى.

٥ - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[٤] توحي أن لولا وسوسة الشيطان بذوق الشجرة لم تبدو لهما سوءاتهما أبداً، إذ كان لباس الجنة لهما لزاماً، كما ألبساه منذ خلقا وأدخلاها، فظهور السوأة كان

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣.
(٢) سورة طه، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

مقصوداً للشيطان نكاية بآدم وزوجه، أنكما تحملان سوءات في أبدانكما، وأخرى في أرواحكما حيث عصيتما ربكما فلست أنا العاصي فقط وأنتما مطيعان! فهذا عصيان بعصيان وأي فرق بين عصيان وعصيان؟ فطالما أنا عصيت ربي إن لم أسجد لك، فأنت عصيت ربك فيما أنعم عليك من الجنة، أم ماذا من أهداف أضاليل.

فالشيطان بخيله ورجله يحاول دوماً بخطواته أن يضم إلى حزبه من عباد الرحمن لكي لا يبقى وحده مرذولاً مدحوراً.

ومن ثم كان لظهور السوأة هذا أثره في آدم وزوجه، أن يأخذا حذرهما في الحياة الأرضية، ويتأكدا من ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾[1].

فعلى الإنسان أن يلتزم لباس التقوى الذي يستر على العورات والسوءات كلّها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وما لم تظهر السوءات لا يندفع أصحابها لسترها أو علاجها، فقد كانت بلية الجنة لآدم وزوجه درساً للأجيال كلها: كيف عليهم أن يعيشوا معركة الحياة الأرضية، ولكي يرجعوا إلى الجنة على ضوء الصالحات في معتركات الحياة، حيث الجنة دون كدح وعمل ليست بالتي ترضي الضمير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[3].

٦ - لماذا ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ دون «فتشقيا» في ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

فَتَشْقَىٰ﴾[١]؟ كما و﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴿١٢٠﴾﴾[٢] رغم أنهما معاً منهيان وقد حذّرا معاً عن غرور الشيطان، وأكلا معاً منها فهما في هذا المسرح على سواء ولماذا يختص آدم بالحظر عن عقبات هذا العصيان، وهما معاً منهيان: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، كذلك وظلمان عند العصيان ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[٣] فهل يا ترى أن الظلم العصيان منهما يخص بخلفياته - فقط - آدم دون زوجه و﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٤].

أقول: هما متشاركان في الظلم والعصيان والخروج مما كانا فيه والهبوط عن الجنة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ ولكنما العبء في الحياة الأرضية وشقائها وجوعها وعراها وظمئها وضحاها، إنها كلها تتوارد على الذكران قبل الإناث وأكثر، حيث هن يعشن على هامش أتعابهم، فعليهم مطاردة هذه الشقاء وحمل هذه الأعباء لا لأنفسهم فحسب، وإنما لأزواجهم وأمهاتهم وبناتهم أيضاً كما يتحملون لأنفسهم، بل وقد يفضلونهن عليهم حيث ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٥] و﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[٦].

ففي الحياة الأرضية للرجال ضعف وأضعاف ما للنساء من أعباء وشقاء.

٧ - ولماذا ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ... فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ دون «تلقيا.. فتاب عليهما» وهما معاً عاصيان تائبان ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[٧]؟

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٢) سورة طه، الآيات: ١١٨ - ١٢٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٥) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٦) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

ذلك لأن آدم هو الأصل وهي الفرع، طوي عن ذكرها هنا حيث التلقّي وحي وهي محرومة عنه، وإنما تتلقى منه بعد ما تلقى، ثم هي التائبة على هامشه، وكما أن عبء الحياة الدنيا عليه دونها ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾!

٨ - كيف التلاؤم في ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ بين «إن» الشرطية الدالة على الشك والترديد، وبين «ن» التأكيد التي تؤكد مدخولها؟

في الحق أن ﴿إِنَّ﴾ لا تعني بنفسها ترديداً، وإنما شرطاً يلائمه كما يلائم التحقيق وهنا التحقيق مستفاد من نون التأكيد والشرط يفيد مفاده، فـ«إن» يأت مني هدى وهو «ما يأتينكم» - ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾.

٩ - وترى كيف ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[1] وشقاء الحياة الدنيا شاملة لعائشيها، بل هي للمؤمن أشقى وأنكى، كما أن خوفه وحزنه فيها واقعان على ما يرى من ظلامات وتخلفات عن شريعة الله؟ فمهما ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ ولكنه يخاف ويحزن ويشقى.

ولكنما الشقاء في الحياة الدنيا، منها مشتركة بين المؤمن والكافر، لأنها لزام الحياة الدنيا، ولكنها للمؤمن مجبورة بما تستقبله من راحة الحياة الأخرى، ثم وشقاء فيها تخص المتخلفين عن شرعة الله: التي تخفف كثيراً من أتعابها، ولو طبّقت تماماً لأصبحت الحياة الدنيا الشقاء رحمة كلها كما الجنة سواء، فالمؤمن في هاتين الشقاءين برحمة وراحة نسبية في الأولى وحقيقية في الثانية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ وأما الكافر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[2]

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

فضنك المعيشة في الحياة الدنيا هو لزامُ الكافر قدر كفره وراحتها - رغم أنها دنيا - هي لزام المؤمن قدر إيمانه، فليس الإيمان بالذي يعمّر - فقط - الحياة الأخرى، بل إنه يجمع تعمير الحياة الدنيا إلى الأخرى، كما الكفر هو ضنك فيهما.

وأما ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فهو مما يستقبلهم في الأخرى فإنهم آمنون فيها، وأما ما يخوفهم أهل الدنيا في نفس أو مال أم ماذا، فإنها ليست بالتي تخوفهم ما داموا في مسيرهم إلى الجنة المأوى.

ثم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى، مما قدموه في سبيل الله أو فات عنهم من زخرفات الحياة وزهراتها، فما قدموه يقدمهم إلى الحسنى فلماذا يحزنون؟ وما فات عنهم يخفف عنهم ثقلهم فلماذا يحزنون: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١].

وأما الكافر فهو يعيش دوماً بين حزن لما فاته وخوف عما يستقبله ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٢]!.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣] ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦].

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.
(٥) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

فأتباع هدى الله، بإسلام الوجه لله، وبالإصلاح وتقوى الله، ممن قالوا ربنا الله ثم استقاموا من أولياء الله، هؤلاء الأكارم: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾!

على هامش القصة:

هنا آيات توراتية مختلقة، وروايات أمثالها تسربت وترسبت في روايات إسلامية تشوّه وجه القصة إلى خلاف العقل والعدل، نضربها عرض الحائط حفاظاً على كرامة الوحي وذوداً عن ساحة الربوبية والرسالة، ومن التوراة:

(تكوين ٢: ١٦ - ١٨) و(٣: ١ - ٢٦): وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها شيئاً لأنك يوم تأكل منها تموت موتاً -.

فقالت الحية (يعني إبليس) للمرأة (حواء) أحقاً قال الله: لا تأكل من كل شجر الجنة؟ فقال المرأة: نأكل منها إلّا التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية: لن تموتا بل الله عالم أنه حينذاك تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فأكلها آدم مع زوجه فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق طين وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط الجنة فنادى الإله أين أنت؟ فقال آدم: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال: كيف علمت أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة؟ فقال: المرأة ابتلتني، فقال: وأنت لماذا؟ فقالت: الحية غرتني... فقال للحية... وقال للمرأة: أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً... وقال الرب الإله له: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى إلى الأبد فأخرجه من جنة عدن...»!